

معركة سُبَيْطِلَة بوابة فتح بلاد إفريقية

د/ محمد نايف العمايرة *

ملخص

تُعد معركة سُبَيْطِلَة من المعارك المهمة في التاريخ الإسلامي، إذ حدثت في فترة مبكرة من قيام الدولة الإسلامية في بلاد إفريقية، لذا تناول البحث التعريف بموقع سببيلة، ثم الظروف التي أدت إلى حدوثها سنة 27هـ/652م وتناول كذلك الاستعدادات للمعركة من قبل المسلمين بقيادة عبدالله بن سعد بن أبي سرح في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ومن قبل الروم بقيادة الملك جرجير (جرجيريوس) والذي اختار موقع سُبَيْطِلَة بعيداً عن ساحل البحر المتوسط ليواجه به المسلمين، ثم مجريات المعركة التي انتهت بانتصار المسلمين على جيش الروم وقتل قائدهم جرجير، إلا أن المسلمين بقيادة عبدالله بن سعد انسحبوا من المناطق التي فتحوها مقابل مبلغ من المال، فعادوا إلى مصر، ولم يتخذوا لهم معسكراً ولم يُولَّ على إفريقية أحداً .

* أستاذ مشارك / جامعة مؤتة كلية العلوم الاجتماعية / قسم التاريخ

The Battle of Subietelah : A Gate to Conquering Africa

Mohamed Naif

Abstract

The battle of Subietelah is one of the important battles in Islamic history . The site of Subietelah and the events and condition that led to the battle in the year 27H/652AD is first introduced . Preparation to the battle by the Muslims under the leadership of Abdullah Ibn Sa'd Ibn Sarh during the caliphate of othman Ibn Affan and that of the Toman army led by Gregarious is also addressed . Gregarious chose the site of Subietelah away from the Mediterranean coast for the encounter with the Muslim army . Victory in this battle was in favour of the Muslims and the leader of the Roman army was killed . After a short while , the Muslims withdrew from the areas that they had come to conquer in return for a sum of money and went back to Egypt . Neither did they establish a base there nor was anyone appointed to oversee the running of Africa .

تمهيد :

إفريقية: بكسر الهمزة : وهى اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية، وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس ، والجزيرتان في شمالها (1)، وهى عمل كبير عظيم في غرب ديار مصر (2) ، واختلفت الروايات حول اسمها، فهو إما نسبة إلى إفريقس بن أبرهة ملك اليمن ، لأنه أول من افتتحها ، وقيل سميت بإفريقس بن قيس بن صيفي بن سبأ ملك اليمن ، وقيل هو إفريقس بن أبرهة ، وكان اسمه قيس ، فلما ابتنى إفريقية أضيف اسمه إلى بعض اسمها ، فقيل إفريقس، ثم خفف فقيل إفريقس (3) ، أو نسبة إلى أفريقس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وهو الذي اختطها . فيذكر أنه لما غزا المغرب انتهى إلى موضع واسع رحب كثير الماء ، فأمر أن يبنى هناك مدينة ، فبنيت وسماها إفريقية، ثم نقل إليها الناس ثم نسبت الولاية بأسرها إلى هذه المدينة (4) .

وقيل سميت بإفريق بن إبراهيم عليه السلام، وقيل أهل إفريقية من ولد فاروق بن مصر (5) ، وسميت كذلك برواية البيروني بلاد إفريقية لأنها فرقت بين مصر والمغرب (6) أي أنها تقع بين مصر والمغرب.

أما من حيث أبعادها وحدودها فقد أشارت المصادر إلى أن طولها يمتد من برقة شرقاً إلى طنجة غرباً ، وعرضها يمتد من البحر المتوسط شمالاً إلى الرمال التي في أول بلاد السودان جنوباً (7) .

وقد تأخر فتحها أو إرسال الحملات العسكرية لفتحها إلى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، لوجسود إشارات في المصادر تبين أن عمرو بن العاص لما افتتح طرابلس كتب إلى عمر بن الخطاب بما فتح الله عليه ، وأنه ليس أمامه سوى إفريقية، فكتب إليه عمر إذا ورد إليك كتابي هذا ، فاطو دواوينك ، ورد عليّ جندي ولا تدخل إفريقية في شيء من عهدي ، مبيناً السبب وهو : أنها ليست بإفريقية ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها ، لا يغزوها أمد ما بقيت. أمر عمرو بن العاص العسكر بالرحيل قافلاً " (8) .

وتعدّ بلاد إفريقية امتداداً طبيعياً لاستمرار الفتوحات الإسلامية بعد فتح مصر وبرقه، لذا كان السبب الرئيس الذي دفع دولة الخلافة إلى إرسال حملة عسكرية لفتح تلك البلاد الواقعة غرب مصر هو نشر العقيدة الإسلامية وجعلها جزءاً من ديار الإسلام، وخاصة أنه لا توجد أية حنود طبيعية تفصلها عن مصر، ولكن الظروف السياسية في مصر ومنها قيام ثورة الإسكندرية وغدر الروم بالعرب الذين أصبحوا شوكة في ظهر المسلمين، جعلت عمرو بن العاص يحجم عن غزو إفريقية والعودة سريعاً إلى الفسطاط ليطمئن على أحوالها، فهي قاعدة فتوح المغرب.

وبعد فترة قضاها عمرو في الفسطاط سار إلى المدينة المنورة ليفاض الخليفة عثمان بن عفان في أمر تتحية عبدالله بن سعد ⁽⁹⁾ عن إمارة الصعيد ⁽¹⁰⁾ ، حتى تكون بلاد مصر جميعها له دون منازع، ورفض عمرو بن العاص أن يشاركه عبدالله بن سعد في الإشراف على الخراج، إذ اعتبر عمرو نفسه بشاركة سعد "كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها" ⁽¹¹⁾ ، وبذلك فشلت المفاوضات وانتهت بعزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وتولية عبد الله بن سعد بن أبي سرح عليها سنة 25هـ / 645م وأصبح مطلق اليد في شؤونها المالية والإدارية، وحاكماً على ما بقي للمسلمين من فتوحهم في إفريقية، وقائداً للجند الذين أوكلت إليهم مهمة فتح إفريقية، واعتبرت إفريقية منذ ولاية عبدالله بن سعد جزءاً ملحقاً بولاية مصر يحكمها عامل مصر، ويجبي خراجها ويقود جندها ⁽¹²⁾ .

موقع سَبَيْطَلَة

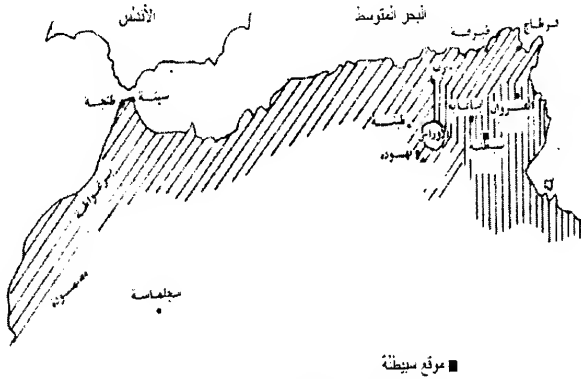
تلفظ بالضم ثم الفتح ، وياء مثناة من تحت، وطاء مكسورة بلام . وهي مدينة من مدن إفريقية ⁽¹³⁾ ، تبعد عن مدينة القيروان سبعين ميلاً ⁽¹⁴⁾ ما يعادل (112) كم إلى الجنوب الغربي منها ⁽¹⁵⁾ ، وجاء موقعها متوسطاً بين مدن الساحل، تونس وسوسة والمهديّة ومدن بلاد الجريد الواقعة تحت جبل درن جنوبي مدن الساحل ⁽¹⁶⁾ ، وتقع حالياً جنوب جبل التل الأعلى بولاية القصيرين، وتمر بها قناة تروى صفاقس ⁽¹⁷⁾ .

وكان لهذه المدينة أهمية خاصة في فترة حدوث المعركة، فإلى جانب أهميتها العسكرية باعتبارها واحدة من سلسلة المدن التي تكون خط الدفاع الثاني الذي أقامته بيزنطة للدفاع عن البلاد ضد ما يتوقعه الروم من هجمات أهل البلاد من البربر ⁽¹⁸⁾ ، كانت كذلك بمثابة عاصمة إفريقية بدلاً من قرطاجنة ⁽¹⁹⁾ ، كما يذكر ابن الأثير فيقول: " وهذه المدينة سَبَيْطَلَة كانت في ذلك الوقت دار الملك " ⁽²⁰⁾ . كما أنها تقع على الطريق الحربي الذي يؤدي من سوسة إلى ثغست، فاخيارها يدل على أن جرجير كان يتوقع الخطر من ناحية الشرق، ولو لم يكن الأمر كذلك لاختار ثغست وهي العاصمة الحربية لهذا الإقليم وموقعها لا يداني وحصونها لا ترام ⁽²¹⁾ .

وتعدُّ سَبَيْطَلَة من أحسن البلاد منظراً وأكبرها قطراً، وأكثرها مياهاً وأعدلها هواءً وأطيبها تربةً، وتشتهر بكثرة البساتين والجنات الخضراء ⁽²²⁾ ، وهي مدينة حصينة محاطة بسور مما زادها منعة وقوة ⁽²³⁾ .

وذكر دى فرجير (Des Vergiers) أن السير جرانفل تمبل زار أطلالها سنة 841م، ورأى فيها قوس نصر والمعابد الثلاث وحمامات وحوض ماء وأعمدة

رؤوسها مصنوعة بعناية وأرضية بالفسيفساء مما يشهد بعظمتها الخلابية (24). وذكرها ديل (Diehl) قائلا: "لها قلعة حصينه بنيت في القرن الرابع، ولما انتشرت المسيحية في إفريقية لم تلبث سببيلة أن أصبحت أسقية يقيم فيها أسقف وبنيت فيها كنيسة كبيرة، وقد بقيت حصونها على منعها وحالها حتى الفتح العربي، وقد كانت غنية (25).



المصدر: خارطة إفريقية، تاريخ تونس، ج 2، ص 23

الإعداد للمعركة :

سار عبدالله بن سعد على نفس السياسة العسكرية التي انتهجها عمرو بن العاص بعد فتح طرابلس، فأخذ يبعث المسلمين في جرائد الخيل، فأصابوا من أطراف إفريقية وغنموا، ويتضح من سياق المعركة ونتائجها أن هدف هذه الغارات ليست المغنم والسبي فقط بل كان هدفها الاستكشاف بغرض جس نبض العدو ومعرفة قواه وما لديه من عدة وعتاد (26). وبناءً على نتائج هذه الاستطلاعات كان عبدالله بن سعد يُقدّر ما يمكن أن تلقاه قوات المسلمين من المقاومة وعلى أساس هذا التقدير كانت تنفذ خطة الفتح (27)، فكتب إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان يخبره بما نال المسلمون من عدوهم وما حازوه من غنائم من أرض إفريقية، ويستأذنه في غزوها (28)، بعد أن أخبره بكثرة أموالها وضعف رجالها (29).

يبدو أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان تردد في البداية ولم يوافق مباشرة، بحجة أن عمر بن الخطاب قد رفض غزوها من قبل وحدث من دخولها حفاظاً على المسلمين (30)، إذ كان رده على عمرو بن العاص عندما اقترح عليه الزحف على إفريقية " لا إنها ليست بإفريقية ولكنها المفرقة مغـدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت " (31)، إلا أن عثمان بن عفان استشار كبار الصحابة بعد ذلك وأشاروا عليه بالموافقة على غزو بلاد إفريقية (32)، على أن يرسلوا بداية

حملة استطلاعية للتأكد من أحوالها، وهذا ما تؤكد المصادر، إذ سبق معركة سَبَيْطَلَة غزوة أخرى كانت لها نتائج إيجابية مما شجع على إرسال حملة عسكرية قوية خاضت المعركة المذكورة .

واستجابة لذلك ندب أمير المؤمنين عثمان بن عفان الناس لغزوها، فلما اجتمع الناس أمر عليهم الحارث بن الحكم إلى أن يقدموا على عبدالله بن سعد فيكون إليه الأمر⁽³³⁾، ويشير الطبري (ت310هـ) إلى أن عددهم عشرة آلاف من قریش والأنصار والمهاجرين⁽³⁴⁾ .

وأشارت الروايات إلى أسماء بعض من شارك في هذه الحملة من كبار الصحابة: " فخرج إليه جماعة من كبار الصحابة ومنهم عبد الله بن الزبير، وأبو ذر الغفاري وعبدالله بن عباس، ومسور بن مخرمة ومقداد بن الأسود وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد الرحمن بن صبحه وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وأخواه عبدالله وعاصم وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وعبدالله بن عمرو بن العاص والمطلب بن سائب بن أبي وداعة والسائب ابن عامر في هشام وبُسر بن أرطاة ومع كل واحد منهم جماعة من قومه، كما شارك في هذه الغزوة حوالي ثلاثمائة رجل من قبيله " أسلم " منهم حمزة بن عمرو الأسلمي، ومسلمة بن الأكوع، ومن مزينة ثمانمائة منهم بلال بن الحارث المزني، وكان اللواء بيده ومن بني سليم أربعمائة وخمسون وغيرهم من القبائل المختلفة، فخرج جميعهم مع عبدالله بن أبي السرح العامري سنة سبع وعشرين من الهجرة، وعرفت بغزوة العبادة لمشاركة أبناء كبار الصحابة ممن اسمهم عبدالله في هذه الغزوة⁽³⁵⁾ .

وتضيف بعض المصادر قبائل أخرى شاركت في الحملة، فقد شارك من غطفان وأشجع وفزارة سبعمائة رجل، ومن جهينة ستمائة رجل، ومن بني الدليل وضمرة خمسمائة، ومن بني كعب بن عمرو أربعمائة رجل، فيكون العدد الكلي لهؤلاء الرجال يناهز الستة آلاف رجل⁽³⁶⁾ ، وقد أرسلهم عثمان إلى عبدالله بن سعد ليصبح عدد رجال الحملة كما أشارت الروايات (20) (عشرون) ألف مقاتل بعد أن انضم هؤلاء إلى جند مصر .

وبعد أن وصلت هذه القوات التي أعدها أمير المؤمنين عثمان بن عفان إلى مصر، تولى قيادتها عبدالله بن سعد، وأخذ يعد العدة للحملة الاستطلاعية (الحملة الأولى)، كما يسميها ابن خلدون (ت 808هـ). وذلك بناءً على أمر من أمير المؤمنين إذ قال لعبد الله بن سعد : " إن فتح الله عليك فلك خمس الخمس من الغنائم، وأمر عقبة بن نافع عبد القيس على جهة، وعبد الله بن نافع بن الحرث

على جهة أخرى، وسرّحهما فخرجوا إلى إفريقيا في عشرة آلاف، وصالحهم أهلها على مال يؤدونه، ولم يقدرُوا على التوغل فيها لكثرة أهلها، إذ ساروا إلى طرابلس فنهبوا الروم عندها " (37) .

أما ما ذكره ابن كثير (ت 774هـ) إن عبدالله بن سرح افتتح سهلها وجبلها وقتل خلقاً كثيرة من أهلها، ثم اجتمعوا على الطاعة والإسلام، وحسن إسلامهم (38) . فهذا الكلام غير دقيق لأنهم لو دخلوا في الإسلام وحسن إسلامهم لما احتاجت الدولة الإسلامية إلى إرسال الحملات المتتالية لفتحها ونشر الإسلام فيها، والتي استمرت حتى ولاية عقبة بن نافع الثانية، لذا جاء كلام ابن خلدون أكثر دقة ووضوحاً .

يبدو أن الأوضاع كانت مشجعة لمهاجمة الروم في عقر دارهم، لذا أخذ عبد الله بن سعد بن أبي السرح في إعداد وتنظيم الجيش للقيام بالحملة الكبرى، حيث بلغ تعداده في أوثق الروايات حوالي عشرين ألفاً (39)، عشرة آلاف قد جمعهم عثمان بن عفان وأرسلهم إلى عبدالله بن سعد، كما ذكر ومن ضمن التجهيزات ما قدمه أمير المؤمنين عثمان بن عفان من معونة للجيش من ماله تقدر بحوالي ألف بغير حمل عليها ضعفاء الناس، ففرق عليهم السلاح كما أمر للناس بأعطياتهم (40)، وعشرة آلاف كانوا مع عبدالله بن سعد في مصر، كان قد أرسلهم في الحملة الاستطلاعية .

أما جيش الروم، فكان على قيادته شخص تسميه الروايات جرجير (جرجوريوس)، ويذكر بأسماء وألقاب مختلفة، فيدعى بالملك جرجير وسلطانة من طرابلس إلى طنجة (41). ويدعى عند أحد المؤرخين المستشرقين بالشيخ جرجير (42).

ويضيف ابن عبد الحكم فيذكر " وكان مستقر سلطانه إفريقية بمدينة يقال لها قرطاجة وكان عليها ملك يقال له جرجير : وكان هرقل استخلفه، فخلع هرقل وضرب الدنانير على وجهه، وكان سلطانه ما بين طرابلس وطنجة " (43) .

وبعد أن أعلن استقلاله عن الإمبراطورية البيزنطية تحالف مع بعض القبائل البربرية (44)، وتلقب بالإمبراطور بموافقة سكان إفريقية الذين كانوا يقدرونه أكثر من الإمبراطور، ولكنه وبعد أن أعلن استقلاله غادر قرطاجة واتخذ من سببيلة المركز المحصن قاعدة استراتيجية، واستقر فيها ويؤكد على ذلك الإدريسي فيذكر ويدعى جرجيس ملك الروم الأفارقة وكانت مدينته سببيلة (45)، ولعله أراد من هذا الانتقال المفاجئ هو الهروب من وجه القوات البيزنطية إلى موضع بعيد عن البحر حتى لا يتعرض لغزو أساطيلها البحرية، وخاصة بعد إعلان استقلاله وانفصاله عن الإمبراطورية البيزنطية، وقد يكون انتقاله إلى سببيلة كذلك رغبة منه في حماية

عاصمته من غزو القوات الإسلامية القادمة من الشرق، وكذلك رغبته في ضم برقة وطرابلس إلى حكمه (46).

ويبدو أن ما توقعه جرجير قد حصل، وهو مجيء القوات الإسلامية من جهة الشرق بعيداً عن ساحل البحر، لذا كانت سبيطة الموقع الحصين المناسب له، فأخذ يعدّ العدة لمواجهة الخطر القادم: " فعندما سمع جرجير بخبر جيش المسلمين، أعدّ جيشاً، ذكرته بعض الروايات بحوالي عشرين ومائة ألف (120 ألف) مقاتل " (47).

أما سنة المعركة فتكاد تتفق المصادر على أنها (27هـ / 647م) وقائد المسلمين عبدالله بن سعد بن أبي سرح (48).

بداية المناوشات ومجريات المعركة :

خرجت القوات الإسلامية يتقدمها والي مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح، متوجهة إلى بلاد إفريقية للاستمرار في حملات الفتوحات الإسلامية، فدخلت قواته مدينة طرابلس، أقرب مدينة تحت الحكم الروماني إلى بلاد المسلمين، فوجدوا عدة مراكز راسية على الساحل فهاجمها الجيش الإسلامي لمدة ساعة تقريباً حتى وقع من عليها في الأسر وعددهم حوالي مئة شخص، فأمر ابن أبي سرح بقتلهم جميعاً، وأخذ المسلمون كل ما في السفن، فكانت هذه أول غنيمة يغنمها المسلمون، أما أهل طرابلس فقد تحصنوا في مواقعهم ففرض عليهم الجيش الإسلامي الحصار أياماً، ولم يتعرضوا للجيش الإسلامي ويؤكد ابن خلدون هذا الحدث ولكن باختصار شديد فيذكر: " ثم ساروا إلى طرابلس فنهبوا الروم عندها " (49). فخاف ابن أبي سرح أن يطول به المقام بطرابلس وهو يريد الإسراع إلى جرجير في عاصمته سبيطة، فأمر رجاله بالانصراف، وكره عبدالله أن يشتغل بذلك عما قصد إليه، فأمر الناس بالرحيل (50).

يبدو أن هذه النتيجة شجعت الجيش الإسلامي على مواصلة الزحف إلى داخل إفريقية، حيث كانت تتمركز القوات الرومية، فقد تركت القوات الإسلامية المدن الساحلية، بعد طرابلس وقصدت مدينة قابس وفرضت الحصار عليها، إلا أن عدداً من الصحابة أشار على ابن أبي السرح بأن لا يشغل بها عن إفريقية (51)، فغَيَّر وجهة الجيش بالزحف إلى داخل إفريقية حتى وصل إلى حدود منطقة جرجير، فنزل بموضع يسمى " قمؤنيه " وهو موضع مدينة القيروان فسأل عن أشرف مَنْ بإفريقية من الروم ف قيل " جرجير " وهو صاحب مدينة سبيطة (52)، من هنا أخذ ابن أبي السرح يرسل الرسل إلى جرجير يدعوهُ إلى الدخول في الإسلام أو دفع الجزية، وهذا دليل على أن الجيش الإسلامي لم يكن همه أو هدفه الأساسي هو الحصول على الغنائم وإنما نشر الإسلام، وهذا رد على جولييان الذي يقول إن

الطمع في الغنيمة هو الذي دفع العرب إلى القيام بهذه الغزوة (53). إلا أن جرجير كان متجبراً ومغتوراً بقواته، وبحصانة مدينته التي تحصن بها مع قواته ولم يتوقع في يوم من الأيام أن تصل أية قوات لمهاجمته، لذا رفض الدخول في الإسلام ورفض دفع الجزية، وتؤكد الروايات ذلك على الرغم من اختلافها في طريقة الرفض، فالمالكي يشير إلى أنه عندما دعي إلى الإسلام نَحَرَ ثم استطال وقال: " لا أفعل هذا أبداً " ، وعندما عرض عليه دفع الجزية كان رده: " لو سألتكموني درهماً لم أفعل " (54) ، وذكر ابن الأثير إلى أن المسلمين " دعوه إلى الإسلام أو الجزية فاستكبر " (55)، ويذكر اليعقوبي " لقي عبدالله بن سعد جرجيس (جرجير) ودعاه إلى الإسلام، أو أداء الجزية فامتنع " (56).

يبدو أن أمد هذه المفاوضات قد طال، وأن جرجير نشط للقاء المسلمين بجيش عظيم، وقد داخل المسلمين بعض الخوف من تحفزه وجمعه جموعاً كثيرة من الروم والبربر، فلم يبدأ القتال الجدي بعد انقطاع المفاوضات . ويبدو أن هذه الأيام القليلة قضاه ابن سعد في الملاحظة والمراقبة لقوات جرجير (57).

ولم يبق أمام جيوش الإسلام إلا الخيار الثالث وهو القتال فأخذت تتهيأ للمواجهة مع قوات جرجير، فقام القائد المسلم عبدالله بن سعد بتقسيم الجيش إلى ميمنة وميسرة وقلب وأمره بالمسير لمقاتلة جيش الروم (58).

اختلفت الروايات حول بداية المواجهة التي تمت بين الطرفين، فيذكر البلاذري (279هـ) إلى أن أول مواجهة بين الطرفين كانت في مكان يسمى بعقوبة، بينه وبين دار ملك الروم مسيرة يوم وليلة يقصد مدينة سَبَيْطَلَة (59) يعني ذلك أن بداية المواجهة كانت خارج حدود مدينة سَبَيْطَلَة، ويرى ابن عبد الحكم أن عبد الله بن سعد سار إلى جرجير حتى وصله فقاتله أياماً، فقتله الله عز وجل (60)، أما المالكي يخالف ما سبق فيذكر أنه عندما سمع جرجير بخروج عبد الله بن سعد إلى إفريقية، خرج ومعه جمع كثير من الروم، فلما التقوا بالمسلمين نادى " جرجير " بالبراز فيبرز إليه عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم، فقتله ابن الزبير ومنهم من قال قتلته جميعاً (61).

على الرغم من اختلاف الروايات في طريقة المواجهة إلا أنها تشير إلى حقيقة واحدة وهي أن المواجهة تمت بين الطرفين خارج مدينة سَبَيْطَلَة، أما نتيجة هذه المواجهة فتؤكد الروايات بهزيمة جيش الروم في أول مواجهة (62). ورواية المالكي تشير إلى مقتل جرجير (63)، وهذه الرواية لا يمكن الأخذ بها لأن المعركة استمرت بعد المواجهة الأولى وكان قائد الروم جرجير نفسه.

بعد هذه الهزيمة أخذ جرجير يحث جنوده على القتال والاستمرار في المواجهة، ومن الأساليب التي استخدمها في ذلك، أنه أخرج ابنته فألبسها حليها

وثيابها وأسفر عن وجهها، وكان من خدمها اللاتي صعدن معها أربعون خادماً، فقال جرجير مخاطباً قادته وجنوده أتدرون من هذه ؟ فقالوا، هذه ابنة الملك فقال لهم: وحق المسيح والنصرانية لا يقتل عبدالله بن سعد منكم رجل إلا زوجته ابنتي وسقت إليه ما معها من الحلي والحزم وأنزلته المنزلة التي لا يطمع فيها أحد عندي (64) .

أما ابن خلدون فجاءت روايته مختصرة ولكنها تؤكد ما ذكرته المصادر : إذ أشار إلى أنه من قتل بن أبي سرح فله مئة ألف دينار وأزوجه ابنتي (65) .

يبدو أن هذا الخبر وصل إلى ابن أبي سرح، فخاف من نتائجه، فاستشار كبار القادة في جيشه، فأشار عليه عبدالله بن الزبير بأن ينادي بأن من قتل جرجير نفلته مئة ألف وزوجته ابنته، واستعملته على بلاده فخاف جرجير أشد منه " (66) ، لذا نادى ابن أبي السرح في عسكره وأخبرهم بالذي كان من جرجير ثم قال لهم: وحق محمد (ﷺ) لا يقتل أحد منكم جرجير إلا نفلته ابنته وما معها فخاف جرجير أشد منه (67) .

استمر الجيشان في القتال، وكان المسلمون يقاتلون الروم في كل يوم إلى الظهر ثم ترجع كل طائفة إلى معسكرها وتضع الحرب أوزارها، فلما أصبح عبدالله بن الزبير في اليوم التالي صلى الصبح وزحف مع المسلمين وقاتل الروم، فلقى الروم في يومهم أشد نكال، ولم ير ابن الزبير عبدالله بن سعد في الحرب فسأل عنه، فقالوا: " هو في خبائه وله أيام ما خرج منه " (68) . فأخذ ابن الزبير معه عدداً من قادة الجيش ودخلوا على ابن أبي السرح وهو في خبائه فاجتمعوا معه وأخذوا يفكرون في خطة عسكرية يستطيعون بها تحقيق النصر وهزيمة جرجير وجيشه، فعرض عبدالله بن الزبير خطة عسكرية تؤكد فيها غالبية المصادر أن الروم إذا سمعوا أذان الظهر غمدوا سيوفهم ورجعوا إلى مضاربهم وكذلك المسلمون، فكان أي ابن الزبير أن يُترك أبطال المسلمين في خيامهم بخيلهم وعُددهم ويقاثلون ببقايا الناس، ويطول القتال حتى جيش الروم فإذا انصرفوا ورجع كل إلى مضربه وأزال آلاته الحربية، يركب المسلمون ويحملون عليهم والقوم على غرة، فلما سمع ابن أبي سرح ذلك وكبار القادة والصحابة استصوبوا ذلك واستخاروا الله وكنتموا أمرهم وبناتوا على تعبئة لجأوا إلى الله تعالى وسمحوا بأنفسهم في إعزاز دين الله وإظهار كلمته (69) .

والخطة نفسها ترد في مصادر أخرى وتؤكد الهدف نفسه وهو تولي ابن الزبير قيادة مجموعة من فرسان المسلمين لمهاجمة جرجير، ولكنها تختلف في الأسلوب وفي الطريقة التي استخدمها ابن الزبير، وتشير المصادر نقلاً عن ابن الزبير: " أن جيش جرجير هجم على جيش المسلمين وأحاطوا به من كل مكان، فاختلف الناس

على ابن أبي سرح، فدخلت فسطاط ابن أبي السرح، فقال ما أدخلك علي يا ابن الزبير، فقلت له إني رأيت غرة من العدو، فاخرج فاندب لي الناس، فخرج معي سريعاً فقال: يا أيها الناس انتدبوا مع ابن الزبير فاخترت ثلاثين فارساً، وقلبت لسانهم اثبتوا على مصافكم، وحملت في الوجه الذي رأيت فيه جرجير " وقلت لأصحابي: " احموا ظهري، فوالله ما ليث أن خرقت الصف إليه، ولا يحسب هو أي جرجير وأصحابه إلا أنني رسول إليه، وحين دنوت منه عرف الشر، فثنى بردونه مولياً، فأدركته مبادراً، فدفعت بالسيف عليه، فأصبت يدي إحدى الجارتين فقطعتهما، واجتززت رأسه فنصبته في رمحي، وكبرت، وحمل المسلمون في الوجه الذي كنت فيه، وأرفض العدو في كل وجهه، ومنح الله تعالى المسلمين أكنافهم" (70)، ويضيف ابن كثير وأتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فغنموا غنائم جمه وأموالاً كثيرة وسبياً عظيماً (71) .

يتضح من نص الروايتين الواردتين في معظم المصادر الموثقة أنهما تختلفان في الأسلوب، وتتفقان على النتيجة، وهي أن عبد الله بن الزبير تقدم باتجاه معسكر جرجير بعدد قليل من المقاتلة لا يزيد على ثلاثين مقاتل، وكان ابن الزبير في زي رسول إليه، وهذا ما ظنه جرجير، فعندما اقترب من خيام الروم هجم معه بقية الفرسان هجمة رجل واحد، فلما اقتربوا من الخيام كبر المسلمون وهلّوا، فلم يستطع جيش الروم ليس دروعهم أو ركوب خيولهم، فانهزمت الروم، وقتل ملكهم جرجير وقتل منهم خلق كثير، وهرب من سلم منهم إلى المدينة يقصد سببيلة (72) .

وفي الوقت نفسه كان الجيش الإسلامي قد نشر الكمان في كل جهة وعندما شاهد خيالة المسلمين هزيمة الروم، وأنهم قصدوا حصن سببيلة، سبقتهم خيالة المسلمين إلى الحصن ومنعوه من دخوله، وطاردهم المسلمون يميناً وشمالاً في السهل والوعر، فقتلوا أنجادهم وفرسانهم، وأكثروا فيه الأسارى حتى كنت ترى في موضع واحد أكثر من ألف أسير (73) .

ويبدو أن عدداً من فرسان الروم وأهل المدينة كانوا قد تمكنوا من دخولها والتحصن بداخلها، ففرض عبد الله بن أبي السرح وقادة الجيش الإسلامي الحصار عليها، حتى تمكنوا من فتحها ودخولها فوجدوا فيها سبياً كثيراً وأموالاً جمة عظيمة (74) ، قسم ابن أبي سرح في مدينة سببيلة الجيش إلى عدة سرايا وأمرها بالتوجه إلى مواقع ومدن أخرى كانت تتبع لحكم جرجير (75) ، فتابعت الجيوش الإسلامية الفتوحات حتى وصلت إلى قصور ققصة (76) وبلغت موضعاً يقال له مرمجنة (77) وتشير المصادر الإسلامية أن الجيوش الإسلامية سبت وغنمت جيوش الروم ومدنهم وحصونهم، ونشر الرعب في قلوبهم (78) .

يبدو أن هذه الانتصارات السريعة للجيش الإسلامي على الجيش الرومي

والتوسع السريع في بلاد إفريقية جعلت أهل إفريقية الأصليين يقبلون الصلح من عبد الله بن سعد بن أبي سرح والذي تتفق عليه غالبية المصادر، إذ أشارت إلى أن رؤساء أفريقية طلبوا إلى عبدالله بن سعد أن يأخذ منهم مالا على أن يخرج من بلادهم (79).

ويخالف ابن أعثم جميع الروايات التي وردت في المصادر التي اعتمدنا عليها ويشير إلى أن جرجير وبعد أن انهزم لحق بأقاصي إفريقية، ثم بعث إلى عبدالله بن سعد يسأله الصلح، فأجابه عبدالله إلى ذلك وصالحه (80) وهذا الرأي يؤيده عدد من المؤرخين - الذين يعتمدون على الرواية اليونانية - كالميسو توكسية (Tauxier) الذي يشكك فيما إذا كان جرجوريوس قد قتل في معركة سبيطة أصلا، إذ كتب في المجلة الإفريقية *La Revue Africaine* (سنة 1985م، ص 284-303) مقالا ذهب به إلى أن جرجوريوس لم يقتل في موقعة سبيطة، اعتماداً على قول تيوفانيس (81).

وهذا لا يعقل لأن جرجير قتل في المعركة ورفض منذ البداية الدخول في الإسلام أو دفع الجزية، كما أن ابن أبي السرح وقادة الجيش الإسلامي وهم في قمة الانتصار على جرجير وجيشه، لا يمكن أن يقبلوا الصلح منه وهو في هذا الموقف المهزوم. ولكن الذين طلبوا الصلح بعد انتهاء المعركة هم أهل إفريقية كما ذكرت.

واللافت للنظر أن ابن سعد قبل من أهل إفريقية وصالحهم على مبلغ من المال اختلفت المصادر كذلك في قيمته، فأخذ ابن أبي سعد المال ورجع إلى مصر، والأهم من ذلك أنه لم يول عليهم أحداً، ولم يتخذ قيرواناً (معسكراً) (82).

والسؤال المهم هو لماذا وافق ابن أبي سعد على الانسحاب والعودة إلى مصر؟ حقيقة أن المصادر لا تشير إلى الأسباب التي أدت إلى انسحابه وقبوله بالصلح مع أهل المنطقة باستثناء إشارة ذكرها المالكي في رياض النفوس توضح ما أسباب هذا الانسحاب، فيذكر: " وأقام ابن أبي سرح وهو أمير سبيطة على عسكره، فلما رأى الروم الذين بالساحل ما حصل بجرجير وأهل سبيطة، غارت أنفسهم، وتجمعوا وكاتب بعضهم بعضاً في حرب ابن أبي سرح فخاف منهم لما معه من الغنائم، فكتب إلى خليفته بمصر يأمره أن ينفذ إليه مراكب في البحر، يجعل فيها غنائم المسلمين، فأخذ خليفته فيما أمره به" (83). فابن سعد كان يخشى هجوماً معاكساً متوقعا ينطلق من مراكز الشمال المحصنة التي كان عاجزاً عن حصارها (84).

لا نستبعد هذا الرأي لأن الروم سرعان ما كانوا يتجمعون في الساحل وبخاصة أنهم ماهرين في القتال في عرض البحر بعكس المسلمين، لذا خاف ابن أبي سرح على جنوده وعلى مصير غنائمهم الهائلة إذا ما فاجأه الأعداء فيستولون عليها،

وبخاصة أن جيش المسلمين لم يتجاوز العشرين ألفاً وتناقص كثير بعد سببيلة، ولم تصله إمداد تذكر، وهذا يعني أن جيش المسلمين قد ضعفت قوته فلا سبيل له في مواجهة أي تحالف للبيزنطيين مرة أخرى .

ويمكن أن نضيف أسباباً أخرى أدت إلى الانسحاب وهي أن ظاهرة الانسحاب متكررة في هذه المنطقة الجغرافية، فعمرو بن العاص قبل ذلك انسحب وعاد إلى مصر بعد أن وصل إلى برقة وطرابلس، وكذلك القادة الذين جاءوا بعد ابن أبي سرح لم يقيموا معسكراً ولا حامية حتى ولاية عقبة بن نافع الأولى سنة (50-55هـ) يبدو أن طبيعة سكان المنطقة وهم البربر وأغلبهم من البربر البتر (البدو) لم يتقبلوا الدين الجديد في البداية، وكذلك طبيعة المنطقة الجغرافية التي يصعب السيطرة عليها بسهولة، فهي من الشمال مليئة بالحصون والمسالح والمحارس وعلى اتصال دائم بالبحر الذي يسيطر عليه البيزنطيون ومن الغرب مليئة بجموع البربر، فإذا ما فكر المسلمون التوجه شمالاً فلا نستبعد أن يأتي البربر من خلفهم من جهة الغرب فيقعوا بين نارين، نار الروم من الشمال ونار البربر من الجنوب، وبالتالي يخسرون كل ما حققوه بما فيها الغنائم الكثيرة.

ويمكن إضافة سبب آخر وهو كثرة الغنائم التي جمعها المسلمون خلال خمسة عشر شهراً قضوها في إفريقيا فلا يستغرب ذلك وخاصة أن قادة الجيش كما ذكرنا شعروا بالخطر وبالتالي سيفقدون هذه الغنائم ويؤكد كودل على ذلك فيذكر "ولا بد أن المحصول كان كبيراً، بحيث فكر عبدالله في التراجع مباشرة حين لاحظ له مخايل المقاومة التي أبدتها أهل الساحل (85) ، إضافة إلى ظروف الدولة الإسلامية إذ لم تستطع توفير الحماية الكافية لهذه المنطقة لعدم شعور قادة المسلمين ومنهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح بالاستقرار والاطمئنان على سلامة المسلمين إذا تركوا فيها، وخاصة أن الفتوحات في هذه المنطقة لا زالت في البداية.

نتائج المعركة :

حققت المعركة نتائج في غاية الأهمية بالنسبة للمسلمين، وأهمها الانتصار على القوات البيزنطية وفتح بلاد إفريقية، وقتل قائدهم جرجير، وتؤكد ذلك غالبية المصادر (86) . وكذلك خرجت عن سيطرة الدولة البيزنطية القبائل البربرية الموجودة في جنوب إفريقيا (87) . على الرغم من أن المسلمين اختلفوا حول من قتله وهنا تتدخل الروايات الشعبية ذات الطابع القصصي الذي لا يمكن الأخذ به فتشير إلى أن ابنة جرجير التي وقعت في الأسر قالت، قد رأيت الذي أدرك أبي وقتله، فقال لها عبدالله بن سعد هل تعرفينه، قالت : إذا رأيته عرفته، فأخذ عبدالله ابن سعد الناس بالعرض، فمروا بين يديها وهي تنظر حتى مرَّ عبدالله بن الزبير فقالت : " هذا قاتل أبي " فقال له عبدالله بن سعد : كتمتني يا أبا بكر قتلك إياه،

فقال له : " قد علمه الذي قتلته له " وعلى الرغم من أن هذه الرواية فيها شيء من الخيال وعدم الدقة، إلا أن معظم المصادر تناولتها وأكدت عليها، لذا يمكن الخروج منها بنتيجة واحدة وهي مقتل جرجير (88).

وبعد أن عرف ابن أبي السرح حقيقة قاتل جرجير، تشير بعض المصادر كذلك إلى أنه أعطى ابنة جرجير الأسيرة لعبد الله بن الزبير، الذي اتخذها بدوره أم ولد، وحتى هذه الرواية ذكرت في معظم المصادر وأكدت عليها، ولكنها لم تذكر أية إشارة عن مصير ابنة جرجير بعد أن أخذها ابن الزبير (89).

ومن النتائج المهمة ما يتعلق بعقد الصلح مع أهل إفريقيا الذي تضمن بعض الشروط أهمها أن ما أصاب المسلمون قبل الصلح فهو لهم، وما أصابوه بعد النزول ردوه عليهم (90).

ونتيجة مهمة أخرى تتعلق بالمكاسب المادية، ولكن الروايات في المصادر اختلفت فيما بينها حول هذه المكاسب، فبعض الإشارات تذكر أن الغنائم كثيرة، إذ تم الصلح على ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وقبض المال (91). أي ما يعادل مليونين وخمس مئة ألف دينار شريطة أن يغادر العرب البلاد، ولقد وافق ابن أبي السرح على ذلك بسرعة، ورجع إلى مصر (92).

وإشارات أخرى لم تحدد قيمة الغنائم، وتكتفي بالقول إنهم أصابوا غنائم كثيرة واستاقوا من المواشي ما قدروا عليه (93)، وإشارات تختلف عن السابقة، فلا تشير إلى قيمة الغنائم جميعها، وإنما تشير إلى مقدار ما حصل عليه من شارك في المعركة من المسلمين من الغنائم، وهذا يدل على أن القيمة قدرت بعد أن وزعت على المقاتلين، وقد أصاب الرجل ألف دينار والفرس ثلاثة آلاف دينار (94).

وهذا ما جعل كودل (Caudel) يجعل الحملة كلها غارة للسلب والنهب، لا مقصد ورائها ولا غاية ترمي إليها ولم تعد للجندي العربي. - وقد أغناه ما غنم - رغبة في الحرب، ولم يعد يفكر إلا في الرجوع، وكان القادة يميلون هذا الميل كذلك، فتم الاتفاق مع الأهليين الذين فضلوا دفع ضريبة على أن يدخلوا مع العرب في قتال، فإذا ما دفع المبلغ، شرع الجيش في العودة وبهذا انتهت حملة العرب الأولى على إفريقية (95). يبدو أن كودل وغيره من الإفرنج ينظرون للفتوحات الإسلامية على أنها غزوات للسلب والنهب وللحصول على المكاسب المادية فقط، ولا يستغرب ذلك من هؤلاء المستشرقين ومنهم كودل، بسبب عدم فهمهم ومعرفتهم لأهداف الفتوحات الإسلامية، لذا جعل كودل حملة سببلة كلها غارة للسلب والنهب، وهذا الرأي غير صحيح ولا يمكن الأخذ به، لأن ابن أبي السرح لم يأخذ الأموال من أهل المنطقة إلا بعد أن حقق انتصاراته على الروم وبمساعدة

البربر أنفسهم ، ولكن تبين له أن الاستقرار في المنطقة بعد سبَيْطَلَة صعب جداً بسبب موقف السكان المحليين من الإسلام في البداية، إذ اعتبروا المسلمين منقذين لهم من جور وسطوة الحكم البيزنطي ، فعندما انتهت المعركة فاضوا المسلمين على الانسحاب وأخذ المال المطلوب، عندها وجد ابن أبي السرح ، أن أخذ المال والانسحاب هو الحل الأمثل وإلا تعرض الجيش الإسلامي للاعتداءات المباشرة من قبل البربر، والدليل على ذلك أن معظم الحملات العسكرية التي قام بها الجيش الإسلامي بعد ذلك ، اتخذت الموقف نفسه بسبب صعوبة التأقلم والاستقرار في المنطقة منذ البداية، فلو كانت الأوضاع مناسبة للاستقرار وترك حامية عسكرية لَمْ ذلك.

أما مسألة الرواية التي تقول إن عثمان أعطى خُمس فيء إفريقية إلى عبد الله ابن سعد، فيشير إلى ذلك الطبري بقوله: " وقال أي عثمان - لعبد الله بن سعد: إن فتح الله - عز وجل - عليك غداً إفريقية فلك مما آفأ الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلاً ... وقسم عبد الله ما آفأ الله عليهم (على الجند) وأخذ خمس الخمس وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان، ووفد وفد، فشكوا عبد الله فيما أخذ فقال لهم أنا نفلته!، وكذلك كان يصنع أي عثمان - وقد أمرت له بذلك، وذلك إليكم الآن فإن رضيتم فقد جاز وإن سخطتم فهو رد، قالوا فإننا نسخطه، قال فهو رد، وكتب إلى عبد الله برد ذلك واستصلاحهم . قالوا : فاعزله عنا فإننا لا نريد أن يتأمر علينا وقد وقع ما وقع، فكتب إليه أن استخلف على إفريقية رجلاً ممن ترضى ويرضون، وأقسم الخمس الذي كنت نفلتك في سبيل الله، فإنهم قد سخطوا النفل، ففعل، ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر وقد فتح إفريقية وقتل الأجل" (الطبريق) (96) .

يفهم من هذه الرواية أن هذه الشكوى وقعت إلى عثمان وعبد الله بن سعد مازال في إفريقية، فمن يكون الخبر قد بلغ أهل المدينة وأسخطهم إلا من عبد الله بن الزبير ومن وفد معه بأخبار الفتح ؟ وخاصة أن الود لم يكن معقوداً بين ابن الزبير وابن أبي السرح في إفريقية، ويضاف إلى ذلك أن عبد الله بن عباس هو الذي قسم غنائم الحملة بين الجند - وعبد الله بن عباس رجل له مقامة ولا شبهة في نزاهته - تبين أنه من المستبعد أن يستطيع ابن أبي سرح أن يؤثر فيه وأن يجعله ينحرف هذا الانحراف، ولماذا لم يشكو ابن عباس نفسه وهو أحق الناس بالشكوى والاعتراض (97) .

ويؤكد ابن عبد الحكم على أن توزيع الفء كان يجري بغاية الدقة والنزاهة، إذ يشير إلى أنه قسم لرجل من الجيش توفي بذات الحمام دفع إلى أهله بعد موته ألف دينار (98) . ولا شك أن الناس تحاملوا على عثمان رضي الله عنه بالباطل والظلم، ولا غرابة في ذلك إذ إن جو المدينة وظروفها السياسية في ذلك الوقت كان يشجع

على ذلك، وخاصة في أواخر سنة 27 هـ/652 م، مما جعل المعارضين لسياسته استغلال تلك الظروف وزيادة التحامل والظلم على عثمان وعامله في مصر وإفريقية عبد الله بن سعد⁽⁹⁹⁾.

ومن النتائج الأخرى والمهمة أن المعركة أذلت الروم ودبّ فيهم الخوف وأخذوا يحسبون حساباً لقوة المسلمين وخاصة على سواحل البحر المتوسط، وتؤكد بعض المصادر ذلك: " فلما رأى الروم الذين بالساحل ما حلّ بجرجير وأهل سيطله غارت أنفسهم وتجمعوا، وكاتب بعضهم بعضاً في حرب ابن أبي السرح، فخاف منهم لما معه من الغنائم فكتب إلى خليفته في مصر يأمره أن ينفذ إليه مراكز في البحر يجعل فيها غنائم المسلمين، فأخذ خليفته فيما أمره به، فاتصل بالروم يريد قتالهم، فخافوه وراسلوه، وجعلوا له جعلاً على أن يرتحل بجيشه ولا يعترضون بشيء " (100).

وبعد أن فشل الروم في مواجهة جيش المسلمين، أراد إمبراطورهم أن يستغل أهل إفريقية، إذ تشير رواية عند الطبري إلى أن الإمبراطور بعث رسولا إلى أهل إفريقية وأمره بأن يأخذ منهم كما أخذ منهم عبد الله بن سعد إذ أخذ منهم ثلاثمائة قنطار ذهب، فكان ردهم بأنهم افقدوا أنفسهم بالأموال التي أعطيت لابن أبي السرح، ولم يبق معهم شيء، وسيبقى ملكهم وسيدفعون الضريبة السنوية المقررة عليهم كما كانت من قبل (101).

وأخيراً وعلى غير عادة المسلمين عندما يفتحون بلداً يستقرون بها يقيمون بها جامعاً، وداراً للإمامة، ففي هذه المرة وبعد توقيع الصلح مع أهل إفريقية وبطريقها الذي لا تذكر المصادر سمة أي البطريق الذي تم تعيينه بعد مقتل بطريقهم جرجير، رجع عبد الله بن سعد إلى مصر ولم يولّ على إفريقية أحداً ولم يكن لها يومئذ قيروان ولا مصر ولا جامع (102).

وكانت مدة إقامة عبدالله بن أبي السرح وجيش المسلمين في إفريقية مدة زمنية تجعلها المصادر تتراوح ما بين السنة وشهرين إلى السنة وثلاثة أشهر (103).

أما خسائر الجيش الإسلامي فلا توجد إلا إشارتان: الأولى تقول إن خسائر جيش المسلمين ثلاثة نفر فقط، منهم أبو ذؤيب الهذلي الشاعر فدفن هناك (104)، وإشارة تكفي بالقول، ولم يفقد من المسلمين إلا ناس قلائل (105).

وبعد هذه النتائج المطمئنة والمفرحة أراد ابن أبي السرح أن يبلغها مع خمس الغنائم لخليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فاختار لهذه المهمة عبدالله بن الزبير الذي كان يومئذ ابن بضع وعشرين سنة (106).

خرج ابن الزبير من سبيطلة متوجهاً إلى المدينة المنورة فاستغرق في الطريق ما يقارب من الشهر (107).

وعند وصوله إلى المدينة أخبر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه بنتائج المعركة فقام أمير المؤمنين في الناس خطيباً وخبر الناس به، قائلاً : " أيها الناس إن الله تعالى فتح عليكم إفريقية وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله، واستجابة لطلب الخليفة خطب ابن الزبير خطبة تضمنت ما جرى في غزوهم وقتالهم للعدو " (108).

وبذلك يسجل المسلمون وفي فترة مبكرة من قيام الدولة الإسلامية انتصاراً آخر على الروم وحلفائهم في إفريقية، إلا أن هذا النصر لم يستغل من قبل عبد الله بن سعد ويفتح بلاد إفريقية، فيبدو أنه أحسّ بعد سبيطلة أنه لا يستطيع فعل شيء بعد ذلك، إلا إذا وصلته إمدادات جديدة يستطيع تثبيت الفتح بها إضافة إلى موقف البربر في هذه الفترة المبكرة من الإسلام والمسلمين.

وبالرغم من ذلك فإنها كانت بوابة الفتح للحملات التي سبّرها قادة الجيش الإسلامي وتم بها فتح بلاد إفريقية، لتصل غرباً إلى شواطئ المحيط الأطلسي وإلى ما بعد جبال البرت (البرانس) في شمال غرب شبه جزيرة إيبيريا (الأندلس) وإلى جنوبي فرنسا .

- (1) الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت 626هـ)، معجم البلدان، دار صادر - بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1989م، مجلد 1، ص 228، يشار إليه فيما بعد : الحموي، معجم البلدان، البغدادي، صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت 739 هـ)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل - بيروت، تحقيق علي محمد البجاوي، ط 1، 1992م، مجلد 1، ص 100، يشار إليه فيما بعد : البغدادي، مراصد.
- (2) الحميري، محمد بن عبدالمنعم (ت 900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه، إحسان عباس، مكتبة لبنان - بيروت، ط 1، ص 47، يشار إليه فيما بعد : الحميري، الروض المعطار.
- (3) البكري، أبي عبيد، عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي، (ت 487هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط 1، 1945، ج 1، ص 176. يشار إليه فيما بعد : البكري، معجم.
- (4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 228، البغدادي، مراصد، مجلد 1، ص 100.
- (5) الحميري، الروض المعطار، ص 47.
- (6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 229.
- (7) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 228، البغدادي، مراصد، مجلد 1، ص 101.
- الحميري، الروض المعطار، ص 47.
- (8) البكري، معجم ما استعجم، ج 1، ص 176-177. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 229.
- (9) عبدالله بن سعد : من قادة الصحابة، أسلم قبل فتح مكة، وهو من أهلها، كان من كتاب الوحي، ولي مصر سنة (25 هـ) بعد عمرو بن العاص، ظفر بالروم في معركة ذات الصواري سنة (34 هـ)، ومات وهو يصلي بسقلان سنة (37 هـ)، وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاة، انظر : ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت 695هـ/1295م)، البيان، المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج، س، كولان وليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ط 3، 1983م، ص 9. يشار إليه فيما بعد: ابن عذاري، البيان 0 الزركلي، خير الدين، الاعلام، بيروت، ط 3، 1969م، ج 4، ص 88، يشار إليه فيما بعد : الزركلي، الاعلام.
- (10) ابن عبد الحكم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصري، (ت 257هـ)، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عمر، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1961م، ص 173، يشار إليه فيما بعد : ابن عبد الحكم، فتوح.
- (11) ابن عبد الحكم، فتوح ص 178.
- (12) حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص 78.
- (13) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجلد 3، ص 187، البغدادي، مراصد، مجلد 2، ص 692.
- (14) الهمذاني، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن إسحق المعروف بابن الفقيه، كتاب البلدان، تحقيق

- يوسف الهادي، عالم الكتب للطباعة والنشر، ط 1، 1996م، ص 132، يشار إليه فيما بعد :
 الهمذاني، البلدان، المالكي، أبو بكر عبدالله بن محمد المالكي، كتاب رياض النفوس في طبقات
 علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسأكم، حققه بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي،
 بيروت، لبنان، ط2، 1994م، ج 1، ص 18-19، يشار إليه فيما بعد : المالكي، رياض
 النفوس، الإدريسي، نزهة المشتاق، حققه ونقله إلى الفرنسية محمد حاج صالح، ص 145،
 يشار إليه فيما بعد : الإدريسي، نزهة المشتاق .
- (15) عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقية والأندلس، دار
 الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، 1982، ص 114، يشار إليه فيما بعد : ذنون، الفتح
 والاستقرار .
- (16) ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب المصري،
 القاهرة، ط1، 1999م، مجلد 1، ص 103، يشار إليه فيما بعد : ابن خلدون، العبر .
- (17) يحيى الشامي، موسوعة المدن العربية الإسلامية، دار الفكر، بيروت، 1، 1993م، ص
 152، يشار إليه فيما بعد : الشامي، موسوعة .
- (18) سعد زغول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال،
 منشأة المعارف بالإسكندرية، ط 3، ص 151-152، يشار إليه فيما بعد، سعد زغول، تاريخ
 المغرب العربي .
- (19) قرطاج : ويطلق عليها قرطاجنه، وهي مدينة لا تزال آثارها باقية بالقرب من مدينة تونس،
 والاسم مكون من جزأين : قرطاً بمعنى مدينة وجنه لطيبها ونزهتها، وقد كانت مقر
 إمبراطورية جبارة قاومت الرومان وهاجمت هنيئال - انظر التفاصيل، ياقوت الحموي، معجم
 البلدان، ج7، ص 52 .
- (20) ابن الأثير، الكامل، ج3، ص 43 .
- (21) حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، دار الثقافة الدينية، ص 75 .
- (22) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 145 .
- (23) المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 18-19 .
- (24) Des ver girs, Hstoire de L' Afrique et de la sicile, p.3..
- (25) Ch.Deih 1 : I' Afrique, Byzantine P.557.
- (26) سعد زغول، تاريخ المغرب العربي، ص 147 .
- (27) سعد زغول، تاريخ المغرب العربي، ص 147 .
- (28) المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 14، ابن عبد الحكم، عبدالرحمن بن عبدالله بن
 عبد الحكم المصري (ت 257 هـ)، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، لجنة
 البيان العربي، القاهرة، 1961م، ص 264، يشار إليه فيما بعد: ابن عبد الحكم، الفتوح،
 البلاذري، الإمام أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279 هـ / 872م)، البلدان وفتوحها وأحكامها،
 حققه وقدم له سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 1992م، ص 63، يشار إليه فيما
 بعد : البلاذري، البلدان، ابن عذاري، البيان، ج1، ص 9، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد
 الرحمن بن علي بن محمد (ت 597 هـ)، المنتظم، ط1، 1992م، ج 4، ص 343-345،
 يشار إليه فيما بعد : ابن الجوزي، المنتظم .
- (29) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ط 1، 1991م، ج1، ص 357-258 . يشار إليه فيما بعد :

- ابن أعثم، الفتوح .
- (30) ابن أعثم، الفتوح، ج 1، ص 357-358، المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 14 .
- (31) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص 176-177، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 229، انظر كذلك، جوليان، شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس - الجزائر - المغرب الأقصى، من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، ج2، النشرة الثانية، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1983، ج2، ص 16، يشار إليه فيما بعد : جوليان، تاريخ إفريقيا .
- (32) ابن أعثم، الفتوح، ج 1، ص 357-358، ابن عبد الحكم، الفتوح، ص 246، المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 14-15، النويري، نهاية الأرب، مجلد 24، ص 7، ابن خلدون، العبر، مجلد 4، ص 1003-1004، الناصري، الاستقصاء، ج1، ص 75، ابن الأثير، الكامل، ج 3، ص 73 . (هذه المصادر تخط ما بين الغزوة الأولى والثانية وتجعلها غزوة واحدة) .
- (33) ابن عبد الحكم، فتوح، ص 264، النويري، ج 24، ص 10، ابن عذاري، البيان، ج1، ص 9، البلاذري، فتوح، ص 263-264 .
- (34) الطبري، تاريخ، مجلد 2، ص 598 .
- (35) المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 15-16، البلاذري، البلدان وفتوحها وأحكامها، ط1992، ص 263-264 (ذكر بعض الأسماء الواردة في رواية المالكي) .
- (36) النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 10 .
- (37) ابن خلدون، العبر، مجلد 4، ص 1003-1004 .
- (38) ابن كثير، البداية، ج7، ص 19 .
- (39) النويري، نهاية الأرب، ج4، ص 10، ابن عبد الحكم، ص 247، (يكفي بذكر عدد الجيش فقط)، المالكي، ج1، ص 123، أما ابن أعثم فيجعل عدد جيش المسلمين (23 ألف)، ج1، ص 359-360 .
- (40) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 9 . النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 10 .
- (41) ابن عبد الحكم، فتوح، ص 46 . النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 11 .
- (42) جوليان، تاريخ إفريقيا، ج2، ص 16 .
- (43) ابن عبد الحكم، فتوح، ص 246 .
- (44) جوليان، تاريخ إفريقيا، ج2، ص 16 .
- (45) المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق للأدريسي (في القرن 6 هـ / 12م) حققه ونقله إلى الفرنسية محمد حاج صالح، ص 145، ويأخذ بهذا الرأي جوليان، تاريخ إفريقية، ج2، ص 16 .
- (46) صالح محمد أبو دياك، الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الكتاني، اربد، الأردن، ط1، 1988، ص 32، سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب الكبير، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط 1983، ص 152-153 .
- (47) النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 11، المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 23، ابن الأثير، الكامل، ج3، ص 73، ابن عذاري، البيان، ج1، ص 9، أما ابن كثير فيذكر بنفس

- الرواية وقيل في مائتي ألف)، ج 7، ص 19 .
- (48) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص 60-61، النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 7-10، يجعلها في شهر محرم، ابن كثير، البداية، ج7، ص 18، ابن عذاري، البيان، ج1، ص 8، ابن عبد الحكم، فتوح، ص 252، المالكي، رياض، ج1، ص 15-16 .
- (49) ابن خلدون، مجلد4، ص 1003-1004 .
- (50) المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 16-17، النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 11 .
- (51) النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 11، المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 23 .
- (52) المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 20-21، الحميري، الروض المعطار، ص 48، النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 16 .
- (53) جولييان ، تاريخ إفريقيا ، ج2 ، ص 17 .
- (54) المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 16-17، النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 11 .
- (55) ابن خلدون (ت808هـ)، العبر، مجلد 4، ص 104، ابن الأثير (ت630هـ)، الكامل، ج3، ص 73، الناصري، الاستقصاء، ج1، ص 75 .
- (56) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص 60-61، النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 12 .
- (57) جولييان ، تاريخ إفريقيا ، ج2 ، ص 17 .
- (58) المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 17، النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 12 ، ابن أعثم ، الفتوح، ج1، ص 360 .
- (59) البلاذري، البلدان، ص 264 . النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 12 .
- (60) ابن عبد الحكم، فتوح، ص 246-247، المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 19-20، (رواية الواقدي)، الحميري، الروض المعطار، ص 48، النويري، ج24، ص 16 .
- (61) المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 19 .
- (62) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص 60-61. المالكي. ابن أعثم، الفتوح ، ج1، ص 360 . رياض النفوس، ج1 ، ص 17 . ابن الأثير، الكامل، ج 3، ص 73 ، النويري ، نهاية الأرب ، ج 24 ، ص 12 . ابن خلدون، العبر، مجلد 4، ص 104 .
- (63) انظر المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 19، وهي الإشارة الوحيدة التي تشير إلى مقتله على يد ابن الزبير بعد خروجه للمبارزة . وانظر أيضاً جولييان ، تاريخ إفريقيا ، ج2 ، ص 17 .
- (64) المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 22، الحميري، الروض المعطار، ص 48، النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 13، ابن عذاري، البيان، ج1، ص 10، ابن الأثير، الكامل، ج3، ص 73، الناصري، الاستقصاء، ج1، ص 75 .
- (65) ابن خلدون، العبر مجلد 4، ص 1004 .
- (66) ابن خلدون، العبر مجلد 4، ص 1004 .
- (67) المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 23، ابن عذاري، البيان، ج1، ص 10، ابن الأثير، الكامل، ج3، ص 73-74، الناصري، الاستقصاء، ج1، ص 75، الحميري، الروض المعطار، ص 47، النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 13 . يضيف " من قتل الملك فله ابنته ومائة ألف دينار " .
- (68) النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 13-14 .

- (69) النويري ، نهاية الرب، ج 24 ، ص 13-14 ، ابن الأثير ، الكامل ، ج 3 ، ص 74 ، وانظر ابن خلدون، مجلد 4 ، ص 1004 ، ولكن بصيغة مختلفة ، إلا أنها تؤكد على نفس الخطأ، الناصري، الاستقصاء ، ج 1 ، ص 76 .
- (70) المالكي، رياض النفوس، ج 1، ص 23-24، ابن الجوزي، المنتظم، ج 4، ص 343-345، الحميري، الروض المعطار، ص 45 .
- (71) ابن كثير، البداية والنهاية، مطبعة السعادة، مصر، ج 27، ص 19 .
- (72) النويري، نهاية الأرب، ج 4، ص 15-16، ابن خلدون، العبر، مجلد 4، ص 1002-1005، يضيف " أخذت ابنته سبية فنفلها ابن الزبير وحاصر ابن أبي سرح سبيطة ففتحها " ، انظر كذلك: ابن الأثير، الكامل، ج 3، ص 74 . الناصري، الاستقصاء، ج 1، ص 76 .
- المالكي، رياض النفوس، ج 1، ص 23-24، ابن الجوزي، المنتظم، ج 4، ص 343-345، ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 11، الحميري، الروض المعطار، ص 47 .
- (73) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 11 .
- (74) المالكي، ج 1، ص 20-21، الحميري، الروض المعطار، ص 48، النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 16 .
- (75) ابن عبد الحكم، فتوح، ص 246-247 ، ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 12 ، البلاذري، البلدان، ص 264 ، المالكي، رياض النفوس، ج 1، ص 19-20 .
- (76) قفصة : مدينة من البلاد الجريدية، وهي كبيرة، قديمة أزلية، وهي متوسطة بين القيروان وقابس . انظر : الحميري، الروض المعطار، ص 477 .
- (77) مرمجة : بافريقية، ولما دخل عبد الله بن سعد إفريقية غازياً وقتل جرجير صاحب سبيطة وانهزمت الروم وتبعهم المسلمون، فبلغت خيلهم قصور قفصة وجاوزها إلى مرمجة، وكانت مدينة كبيرة قديمة أولية وفيها آثار وبها عيون سائحة وهي على نظر واسع كثيرة الخيرات . انظر الحميري، الروض المعطار، ص 540، النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 16 .
- (78) المالكي، ج 1، ص 20-21، الحميري، الروض المعطار، ص 48، النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 16 .
- (79) ابن عبد الحكم، فتوح، ص 246-247، البلاذري، البلدان، ص 264، المالكي، رياض النفوس، ص 19-20 .
- (80) ابن أعثم، الفتوح، ج 1، ص 361 .
- (81) حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص 93.
- (82) ابن عبد الحكم، فتوح، ص 246-247، البلاذري، البلدان، ص 264 ، (يجعل المبلغ ثلاثمائة قنطار من ذهب) ويشاركه في الرأي، المالكي، رياض النفوس، ج 1، ص 19-20 .
- (83) المالكي، رياض النفوس، ج 1، ص 20 .
- (84) جوليان ، تاريخ أفريقيا ، ج 2 ، ص 17 .
- (85) Caudel : L'Afriquenord, les Byzan tins, etles Berberes avant les invasions arabes, paris, 1900, op,cit,11.p77..
- (86) الحنبلي، الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي (ت 1089م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا،

- منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج1، ص 59، ويشار إليه فيما بعد : الحنبلي، شذرات . اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص 60-61 (يذكر اسمه جرجيس)، البلاذري، البلدان، ص 264، المالكي، ج1، ص 20، الحميري، الروض المعطار، ص 13، النويري، ج 24، ص 15، ابن الأثير، الكامل، ج3، ص 74 .
- (87) جوليان ، تاريخ أفريقيا ، ج2 ، ص 17 .
- (88) النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 15، الحميري، الروض المعطار، ص 38، ابن عذاري، البيان، ج1، ص 11-12، المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 21 .
- (89) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 11-12، المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 20، ابن الأثير، الكامل، ج3، ص 74، النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 15 .
- (90) النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 17، ابن عذاري، البيان، ج1، ص 12-13 .
- (91) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 17، ابن خلدون، مجلد 4، ص 1005، ابن الأثير، الكامل، ج3، ص 74 . الناصري، الاستقصاء، ج1، ص 76 . البلاذري، البلدان، ص 264 .
- (92) عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، 1982، دار الرشيد للنشر، ص 114، الناصري، الاستقصاء، ج1، ص 76 .
- (93) البلاذري، البلدان، ص 264، المالكي، ج1، ص 20 (يشير إلى رواية أخرى مفادها أنه صالحهم على مائة ألف رطل ذهب)، ج1، ص 19 .
- (94) الحنبلي، شذرات، ج1، ص 59، ابن عبد الحكم، فتوح، ص 247، النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 16، ابن خلدون، العبر، مجلد 4، ص 1005، ابن الأثير، الكامل، ج1، ص 74، المالكي، ج 3، ص 19 .
- (95)Caudel ,op.cit,p.79.
- (96) الطبري، تاريخ، مجلد 2، ص 598-599 .
- (97) حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص 104 .
- (98) ابن عبد الحكم، فتوح، ص 184 .
- (99) مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص 105 .
- (100) المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 27، الناصري، الاستقصاء، ج1، ص 76، الحميري، الروض المعطار، ص 13، النويري، نهاية الأرب، ص 24، ص 16 .
- (101) الطبري، تاريخ، مجلد 2، ص 598-599 .
- (102) البلاذري، البلدان، ص 264، المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 27 .
- (103) النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 17، ابن خلدون، العبر، مجلد 4، ص 1005، ابن الأثير، الكامل، ج3، ص 75، ابن عذاري، البيان، ج1، ص 13، ينفرد الحميري برأيه ويذكر أن المدة ستة أشهر فقط، الروض المعطار، ص 48 .
- (104) ابن الأثير، الكامل، ج 3، ص 75 .
- (105) النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 17 .
- (106) المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 24، الحميري، الروض المعطار، ص 48، ابن خلدون، العبر، مجلد 4، ص 1005 .

- (107) المالكي، رياض النفوس ، ج1، ص 24، (اليقوبي يشير أنه استغرق عشرين ليلة، تاريخ، ج2، ص 60-61 .
- (108) انظر التفاصيل الخطبة : المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 25-26، ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص 243-245، ابن عبد الحكم، فتوح، ص 249، ابن عذاري، البيان، ج1، ص 12-13 .